

يُحكى أن

قصص قصيرة



الصديق بودوارة

منشورات

مجلس تنمية الابداع الثقافي - الجماهيرية



الصدقة بكد وارة

يُحكى أن ..

قصص قصيرة

عبد يوسف السباعي

الطبعة الأولى

2004

يُحكى أن

قصص قصيرة

رقم الإبداع بدار الكتب الوطنية (5571)
الترقيم الدولي (ردمك 9- 38- 014- ISBN 9959-
الطبعة الأولى 2004
حقوق النشر والاقتباس محفوظة

الناشر: مجلس تنمية الإبداع الثقافي

الإهداء

إليها .. طبعاً !!

سيرة ذاتية

- الصديق ابريك بودوارة
- بريد الكترونى ELFAHEK@MAKTOOB.COM
- بكالوريوس اقتصاد زراعى 1989
- ليسانس آداب قسم تاريخ 2000
- يكتب القصة والمقال.
- يكتب زاوية اسبوعية بصحيفة الجماهيرية بعنوان (قبل أن أنسى).
- صدرت له (شجرة المطر) مجموعة قصصية عام 1988 .
- صدر له (آلهة الأعذار) مجموعة قصصية عام 2003.
- له (منساد) رواية.

أيها الـ ..

كلما حفرْتُ أعمق وجدتُ سماءً أروع
(انسى الحاج)

الدائرة

أيها الجمل ..

صحراءٌ بعرض الكون وذرات رملٍ تُضمّر لك الشر ومفازةٌ تنوى لك
العطش وعطشٌ يتوعدك بالموت وموتٌ يتآمر عليك مع صحراء بعرض
الكون ..

أيها الجمل .. ها قد اكتملت الدائرة .. فإلى أين ؟!

المصير

سمكة ملونة .. وقاع خرافي الحسن يحترف الصمت منذ بدء الخليقة
وأنياب حيتان لا تنقصها الفصاحة وشبكة صيادٍ جائع تتحين الفرص ..
هناك أيضاً حوض من زجاج بفقاع مزيّفة مجهز بإتقان مبالغ فيه لاقامة
الأسماك الملونة الباعثة على الدهشة ثم السأم في نهاية المطاف.
أيتها السمكة الملونة .. ما الفائدة ؟!

لا تكافؤ !!

طائرٌ يخترق الفضاء بحماسٍ ظاهر .. والفضاء يبتسم واثقاً من النصر ..
على مقربة من المشهد كانت الشمسُ تجرى حسبة بسيطة لكنها واضحة
كالشمس .. للطائر جناحين (قالت الشمس) وللفضاء سبع سموات ..
للطائر مجرد الحماس وللفضاء ثقته في النصر .. الى هنا اغلقت الشمس
كتابها متأسفةً على الطائر الشجاع مصفقةً للفضاء المنتصر .

قيامة

— هيا .. حان دوري .

قال الليل للنهار .

— الآن .. دوري .

قال النهار لليل .

— فجأة تنازل أحدهما عن دوره للآخر فانهت .

قالت الدنيا .

اختلاف

— احسب أن .. اقصد .. في الواقع أنت ..

هكذا يولد الحب .. على دفعات ..

عندما يموت لا يفعل ذلك .. يموت فجأة .. كنورٍ ينطفئ .. كزجاجٍ

يتهشم .. كرصاصةٍ تصيب مقتلاً !!

عبث !!

أفقرت السماء .. صارت قاحلة وغادرتها السحب ..

هناك .. على الطرف الآخر من الدنيا انتظرت الأرض .. أضناها

العطش وعبث بها الجفاف .. هناك أيضاً ثمة بشرٍ ينتظرون .. يتطلعون إلى

الأفق وينتظرون .. أثناء ذلك يموتون عطشاً ويحلمون بالماء .

امتلاأت السماء بالغيوم .. هطل المطر وامتلاأت به الأرض وغصت به

الوديان .. من تماطله ولدت السيول ومن تناسل السيول أقبلت الكوارث ..

هناك أيضاً ثمة بشرٍ ينتظرون .. يتطلعون إلى نفس الأفق وينتظرون .. أثناء

ذلك يموتون غرقاً ويحلمون بالجفاف !!

زمن المتاحف

(إلى حبيبتي) .. كتب العاشق الصغير .. (احبك حباً لو أحبه الناس
لبعضهم لأصبحت الأرض جنة) .. كان يكتب لمعشوقته طالبة
المدرسة .. مرت مائة سنة .. أصبح العاشق الصغير هيكلاً عظيماً تحترمه
المتاحف فيما تحولت المعشوقة المراهقة إلى مقبرة سيئة السمعة .. إما
الأرض فلم تصبح جنة حتى الآن .

هرطقة

_____ أنا اللبوة .. أمارس الصيد .. افترس .. أٌطعم أشبالك
الجائعين .. أشعرك بالأمان والمتعة .. وأنت .. لا تفعل شيئاً سوى التسكع
بلا فائدة .. لك الصيت ولى الشقاء .
تكلمت اللبوة حتى مطلع الصباح .. عندها انصرفت للصيد فيما ظل
الأسد يتسكع بلا فائدة .

اليقين الصامت

(..ولى دونكم أهلون) .. قرع الرجل باب اليقين .. وجد السكينة .

(.. ومن خبر الغواني فالغواني) .. إلى الآن .. لازال هذا يبحث عن

سكينته .. يقف عند اليقين لكنه لا يقرع بابه .. أيها اليقين هل تعرف

السبب ؟!

ملل

تشرق الشمس .. تفعل هذا كل يوم .. يقبل الليل فيطفئ النور ..

يفعل هذا كل يوم ..

(أين نحن ؟)

جوابها سهل .. بينهما تنطفئ أعمارنا ..

أيها البشر .. هل من خلاص ؟!

السيرة

زجاج يتهشم في الصدر .. غصة في الحلق .. دموع تتجمع في
المآقي .. تلك هي السيرة الذاتية للهزيمة .

بدييات

(جمل يكره الصحراء) .. جمل من ورق .
(جواد جبان) .. جواد من خشب .
(جفاف بلا جوع) .. مسرحية هزلية .
أيتها الدنيا هذه بعض نواميسك .. أليست كذلك ؟!

لو أنه

— (يا الله .. خذ تفاحتك وابقني في الجنة) ..
كان بوسع آدم أن ينهي المأساة عند هذا الحد .. كان بوسعه .. أليس
كذلك ؟!

منطق

— كانت جميلة إلى حدٍ لا يُصدق .

— ومن الذي لا يُصدق .. أليس الكذب ؟

هل كانت جميلةً إذاً إلى حد الكذب ؟!

في حضرة الصمت

(عندما نصمتين نلّكم صفائرك)

(1)

تكلم .. ملاً الفراغ بالحروف .. اعتلى قمة الحديث فسقط من
شاهق.. وعندما سكت مدت له الروح يداً من سكينه .. أيها الصمت ..
مد له يدك !

(2)

يومها.. كانت الأرض وليدة غضة وكان البحر طفلاً لا يعي ما حوله:
— لكي نفهم الدنيا نحتاج إلى الصمت .
قالت الأرض للبحر .. صمت الاثنان .. ومرت ألف سنة :
— إلى متى ؟
تساءل البحر .. وقد أستبد به الكلام فانتبهك حرمة الصمت .
إلى الآن لا زالت الأرض تحاول أن تفهم الدنيا بينما يقضى البحر فترة
عقوبته هادراً طوال الليل .. متسائلاً في احتجاج :
— إلى متى ؟

(3)

تلك اللحظة .. اذكرها جيداً .. عندما هرب مني الكلام .. عندما
غافلني متسللاً من أسر الشفاه المطبقة عليه .. عندها ارتكبت خطيئتي
الصاخبة .. فلتغفر لي أيها الصمت .. معك على الأقل كنت اقترف الخطايا
دون صوت !

(4)

قال لها :

_____ معك يصبح الصمت فتنةً للسامعين ويصبح

الكلام كسرة خبز في فم جائع بالوراثة .. أيهما تفضلين ؟

قالت له :

_____ الخبز يفقد حظوته بالاكثفاء .. لكن الفتنة لا

تنتهي .. فلنصمت معاً لنذكر الخطوة التي لا يفنيها الاكثفاء ولا يدركها

بمجرد الملل .

(5)

جيشٌ من الحروف على التلة .. فرسان الكلام على صهوة جيادهم
والضحيج لا يُطاق بينما الحمل البليغة تمتشق الرماح .. على التلة المقابلة ثمة
جيشٌ من الصمت .. جيشٌ يغلق فمه وينتظر .. يترصد بهم .. له دائماً
النصر المبين ولهم دائماً الضحيج الذي لا يُطاق !!

(6)

لم يذق حلاوة الصمت إلى أن فارق الحياة .. (ذلك الخطيب المفوه)

(7)

_____ لماذا يقدسك البشر ؟

تساءل الفرح والاحتجاج يعصف به :

_____ تكلم أيها الحزن .. أريد جواباً .. أنا أكثر

منك حضوراً وأعلى منك صوتاً وأكثر منك بهجة .. فلماذا يقدسونك
وحذك ؟

_____ لأنني أكثر منك صمتاً .

قال الحزن ثم سكت إلى آخر الدهر .

موت بائس

كان مظلماً من الداخل ..
مليئاً بالدهاليز .. حتى أقنعتني التي يرتديها كانت كثيبة كدهاليزه
الرطبة .. يقولون انه مات .. توفاه الله .. شخصياً لم أحضر الجنازة لكني لا
اعتقد انهم بذلوا جهداً في دفنه فقد كان مدفوناً منذ زمن .. (تسألون
أين؟) طبعاً في دهاليزه المظلمة !

الخلاص

بالوحد تلوثت روحي .. بالشك امتلاً يقيني .. لكنني الآن أغتسل
بالراحة .. شكراً لك أيتها الصلاة .

هل ؟

هل تذكرين .. ؟ عندما عبثت بشعرك الريح ؟ هل تذكرين ؟ .. كان
ذلك قبل أن يرمى بي أولادي الأعزاء في دار العجزة هذه .. لهم كل الحق
فقد أصبت بداء النسيان ولم أعد أذكر ذلك اليوم .. عندما عبثت بشعرك
الريح .

فشل

استيقظت باكراً ذلك الصباح .. كنت أريد أن أبدأ حياةً جديدةً لكنني
فشلت .. أيها القاضى لا تعتب على .. ليس ذنبي إن الصباح لم يستيقظ
ذلك اليوم .

أبها اموت

(أبها اموت .. الم نمت بعد ؟)

(1)

عما قريب سينقرض الطيبون .. سيصبحون فصيلةً نادرة .. تمهل أيها
الموت !

(2)

مات الرجل ذو اللسان الطويل .. واريناه في باطن الأرض واحكمنا
إغلاق تلك الحفرة لكنه لم يتفوه بحرف .. أين لسانه ؟

(3)

كانت خجولة .. حتى إن زوجها لم يكن يقبلها إلا في الظلام ..
بالأمس ماتت .. دفناها في مقبرةٍ مظلمة تغص بالرجال (أيها الموت ..
برأيك .. هل أخطأنا في حقها ؟)

(4)

للموت صمته الخاص .. سكونه .. سكينة .. خطواته المتسللة ..
مذاقه الفاجع .. طعمه المر .. لا تغضبوا .. له أيضاً بعض الصفات الرائعة
لكننا نسيناها تماماً فمنذ مائة سنة لم يمت نذل واحد في بلدتنا!

(5)

تقول الأسطورة القديمة إن حفنة من الأشرار وقعت معاهدة سلام مع الموت .. الشر مقابل الحياة :

— تركنا نعيش وسنقدم لك أجساد الطيبين طعاماً شهياً لا تنقصه الفيتامينات ..

وافق الموت .. أصبح قوياً كثور مصارعة وأصبح للأشرار عمر نوح.. إما أجساد الطيبين فلا زالت إلي اليوم طعاماً شهياً لا تنقصه الفيتامينات!!

(6)

— هنا ينتهي بي العمر .. هنا حدود الموت .

قالت الحياة .

— هنا أبدأ عمراً جديداً .. هنا حدود الموت .

قال الشهيد .

(7)

اليوم قابلت صديقي لكنني لم أحادثه .. ألم يمت بالأمس !؟

(8)

— اعتنى بالصغار .. أوصيكِ بهم .
قال لها .

— وأنت .. هل ستكتفي بالنوم طيلة الوقت ؟
تساءلت :

— لا .. سأكتفي بالموت فيما تعتنين بالصغار .
أجابها ثم اكتفى بالموت !!

(9)

(وقفتَ وما في الموت شك لواقفٍ .. كأنك في جفن الردى
وهونائُم)
هذا المتني .. كأنه كان يملك البصيرة .

(10)

انتظرتك طويلاً .. ماتت نهارات عدة .. مات ألف ليل وماتت قطعان
من الأمل .. الآن لم أعد انتظر فقد مات الانتظار .

(11)

الحب أعمى .. والموت كذلك !

(12)

غدر الصديق .. موت .

هجر الحبيب .. موت .

فراق الأهل .. موت .

الكره .. الحقد .. موت .

أيها الموت .. ما اكثرك .. أيها الموت .. ما أقلنا !!

(13)

انظروا إليه .. انه ينام بعمق .. كأنه ميت .. أليس الموت أن ننام

بعمق ؟!

(14)

وداعاً .. الآن فقط فهمت .. عرفت .. الآن فقط وصلت .. أليس

الموت أن يفهم العارف انه وصل ؟ .. أليس كذلك ؟!

(15)

بعد أن ماتت ألهم الله زوجها الصبر والسلوان .. الى حد أنه تزوج
أخرى .. لو أنه مات أولاً كانت ستفعل نفس الشيء .. الموت فعل سكون
.. الحياة فعل حركة .. لهذا فقط تبدو الحياة أجمل مهما كانت قبيحة ويظل
الموت قبيحاً مهما بلغ من جمال !

سِفر الانتظار

(انتظرناك على احمر من الجمر .. صار الجمر رماداً فعلى اى حُر سانتظرك؟)

(1)

هل تعرفين من أنا ؟

أنا الذي يعرف كم نجمة في السماء .. وكم خفقة في الروح .. لم
اتزود بعلوم الأولين .. لم أقرأ حرفاً .. كل ما في الأمر إنني انتظرتك
طويلاً .. أثناء ذلك تشاغلتي بالنجوم واعدادها وبالروح وكيف تحقق ..
الآن صرت لا افقه شيئاً من ذلك .. عدت جاهلاً كما كنت فلم اعد انتظر
أحداً .

(2)

تأخرت كثيراً .. حتى إن الانتظار لم يعد يجدي معك ..
تأخرت كثيراً حتى إن حضورك اصبح مشكوكاً فيه كأسطورة قديمة ..
تأخرت كثيراً .. حتى إنني أتساءل الآن .. هل التقيت بك يوماً أم أن
الأمر لا يعدو كونه حدثاً مشكوكاً في صحته .. تماماً كأية اسطورة قديمة ؟

(3)

تعود العاشق لقاءها ..

صارت عادته اليومية .. للمزيد من الصدق .. الأسبوعية .. لنكن
اكثر تجرداً .. أحياناً لعشرين يوماً أو اكثر .. لكنه تعودها .. لا مانع من
المزيد من الصراحة .. صار يرى وجهها في راحة يده .. صار يملأ قلمه من
سواد عينيها ويكتب .. ما الفائدة ؟ .. يقول سفر الانتظار .. ما الفائدة ..

ما دامت لم تفعل نفس الشيء .. ما دامت لم تتعود لقاءه .. هل تعرفون ما حصل بعد ذلك ؟

يقول السفر :

تعود العاشق فراقها .. وانتهى الأمر !!

(4)

يا لذلك التافه ..

مائة سنة عاشها .. استيقظ 36500 مرة .. شاهد عشرات الآلاف من صباحات ندية .. رأى ما لا يُحصى من الليالي المقمرة .. ومات بعد ذلك .. دُفن في حفرة ضيقة .. بلا صباحات ندية أو ليالٍ مقمرة .. مات دون أن ينتظر حبيبةً واحدة .. لماذا عاش إذاً ؟!

(5)

عندما كانت تدق الثانية عشر كان يفقد الأمل .

تكرر ذلك لألف يوم .. ألف مرة دقت الثانية عشر وألف مرة فقد الأمل ..

الآن .. ومنذ دقيقتين فقط تكرر الأمر من جديد .. تتساءلون كيف ؟ .. انظروا إلى ساعاتكم .. أليست الثانية عشر ودقيقتين ؟ ! .. أليست كذلك ؟!

(6)

أنهكه المرض ..

الستهم رثته اليسرى فصار يتسول الهواء .. وعبث بأحشائه حتى مزقه
الألم وضرب ركبتيه حتى أعياه الوقوف وقطع حبال صوته فانقطع عن
الكلام :

— كل هذا لم يرهقني .. ما اتعبني هو الانتظار .

كتب لها ذات مرة .

— هو إذاً ينتظر الشفاء .. هذا فأل حسن .

كعادتهما لم تُحسن قراءة ما يكتب .. فقد كان ينتظر الموت .. وبفارغ

الصبر !

(7)

أنا النافذة ..

إذا كان لديك ثمة عمل ضروري فاذهب لإنجازه .. لا تقلق ..

سأنتظر مكانك .

صرت احفظ ما تقوم به عن ظهر قلب ..

سأرقب ذلك الممر الواسع ..

انتظر ..

وعندما يمضى الوقت دون أن تحضر .. سأعلن الحظ وبعض الظروف

الأخرى ثم أغرق في صمت طويل .

لا تقلق إذاً واذهب بسلام ..

ألم أقل لك ؟ .. أنا النافذة !!

(8)

الغائب يجده في انتظاره ..
الميت يجده في دموع أهله ..
الوليد يجده في حضن امه ..
انا فقط .. من دونهم .. أغيب .. أموت ألف مرة .. أحياناً أولد من
جديد ..
لكننى ابداً لا اجدك فى انتظارى مثلهم .

(9)

أنا العفريت الطيب ..
انتظرت ألف سنة .. سكنت ابريق الزيت لضيق ذات اليد .. كنت
اشرب من دموعى المالحة المذاق واجتر ذكرياتى القديمة بديلاً عن الطعام .
انا العفريت البالغ الطيبة .. المدقع الفقر .. بعد كل هذه السنين
فوجئت بأحدهم يقتحم خلوتى ويوقظنى من لذيذ النوم .. تفاعلت خيراً ..
ها قد أقبل الرزق .. ربما تتحسن الظروف .. لكنه كان فقيراً مثلى يطلب
الاحسان .
هو الآن ينام معى .. نشرب معاً دموعنا المالحة ونجتر الذكريات
وننتظر مجدداً أن تتحسن الظروف .

(10)

كلما انتظرت أملاً خاب ..

كلما انتظرت حبيباً غاب ..

قصيرةً قصتي .. لكنها طويلة الى حدٍ لا يُصدق .

يحكى أن

قيل : ما الحي ؟

قلتُ : اكتمال الهدوء

قيل : ما الميت ؟

قلت : ابتداء اللجوء

قيل : ما الحزن ؟

قلت : اختلاط الدموع بماء الوضوء .

قيل : ما الحب ؟

قلت : أسألوا الثمرة

قبل أن تسألوا الشجرة .

من (كتاب المنفى) للشاعر الربذي

الخطبة

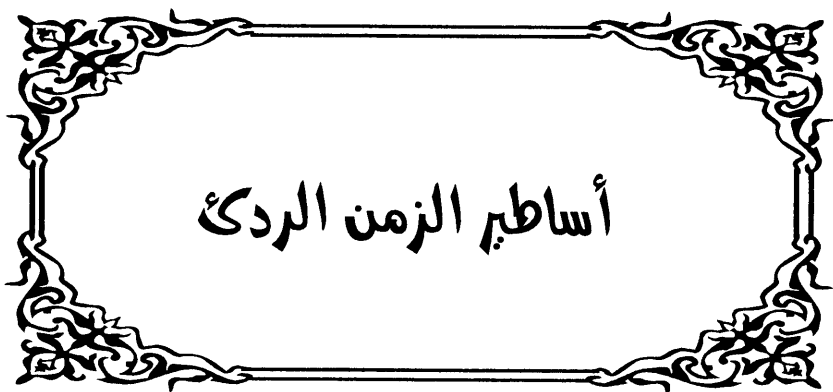
.. ثمرة " الهندي " .. أرادت ذات يوم أن تُثبت حسن النية ..
فخلعت رداؤها المليء بالأشواك .. وكما يحدثُ في العادة لأي أنثى تخلع
ملابسها .. تسابق على أكلها الجميع .. بمن فيهم الهنود .

إما له وأما لهم

.. مغنٍ رديء الصوت .. أراد أن يُصبح مطرباً .. منذ
بدء الخليقة استنكرت الديناصورات غنائه ففضلت الانقراض .. وأستهجن
سكان الكهوف صوته .. فتركوها له ونزلوا إلى السهول .. عند ذاك
اكتشفوا نعمة الزراعة .. واحتفالاً بهذه المناسبة أقاموا حفلاً فنياً ساهراً
فأنتهز الفرصة ومارس هوايته .. فترك الجميع حرفة الزراعة واتجهوا إلى
الصناعة حتى وصلوا بفضلها إلى القمر .. هم الآن يبحثون — وبحماس
منقطع النظير — عن كوكب ملائم .. أما له .. وأما لهم .

الشريكان

جبلٌ راسخ الأقدام .. عثر ذات يومٍ على قنديل الزيت المشهور ..
فرك القنديل .. انطلق المارد من جوفه وعرض خدماته كالعادة ..
شاهدت السحابة التي تُحلل رأس الجبل كل شيء فأصرت على مبدأ
المشاركة .. طلب الجبل أن يصير سحابةً مُثقلة بالمطر .. وتمنت السحابة أن
تصير جبلاً .
صباح اليوم التالي مات البشر .. فقد أمطرت السماء حجارةً سوداء ..
وغمر الأرض الفيضان .



اسطورة الميلاد

ذات ليلة صرخت زوجة الفقير .. تأوّهت .. ثم نامت قريرة العين
هائئة البال .. وتناسى الفقير فقره حتى مطلع الصباح .
ذات ليلة أخرى .. صرخت الزوجة .. تألمت .. ثم أنجبت فقيراً صغير
الحجم .. مُفلساً بالوراثة .. وظل الفقير الأكبر يبكي حتى مطلع
الروح.

اسطورة الكنز

عُثرت الأرض على كنزٍ في جوفها .. كتمت السر .. كانت
تستيقظ قبل الفجر تُحصي القطع الذهبية الوهاجة .. تطمئن عليها وتنام
بعد ذلك النهار كله.

لصٍّ محترف .. مات من التُّخمة فدفن في باطن الأرض .. راود
الأرض عن نفسها .. فرش لها الوعود وأقسم أنه ينتمي إليها
فباحث له بالسر .

بعد أسبوع كان الناس يتحدثون عن معجزة جديدة .. فقد خرج
الميت من قبره .. يرتدى الحرير ويتحلى بالذهب .. ويترحم ليل نهار على
الأرض التي ماتت .

اسطورة الروح السابعة

.. حلم " مستور " انه يملك سبعة أرواح .. قارئة فنجان لها وجه
ساحرة ومخالب ذئب أكدت له ذلك :

— أنت محظوظ .. أنت تختلف عن باقي البشر .

غادرته العجوز أول الليل .. لكنها عادت قبل أن يستفيق قائلة له :

— لا تنس ..أنت صاحب سبعة أرواح .

ثم تركته بلا رجعة .

.. نخس " مستور " من نومه .

تفقد يديه وعينه وأذنيه فوجد كل شيء كما هو قبل أن ينام ..
فحمد الله وأثنى عليه .

تفقد زوجته فاطمأن على شرفه .. تفقد أطفاله فبكى بحرقة .. خرج
إلى الشارع فصاح به رجال متجهمو الملامح :

— احترس .. نحن نزرع الألغام هذه الأيام .

تفحص وجوههم .. عرف من بينهم أصدقاء له .. أدار محرك
سيارته فانفجرت :

— ألم نذكرك ؟ .. ها قد فقدت إحدى أرواحك .

صاح به أحدهم .. ذهب إلى عمله مشياً .. اجتاز عشرات الألغام
.. فتح باب مكتبه فأنفجر بوجهه لُغم آخر .. من جديد صاح به أحد
الأصدقاء :

— ها قد أصبحت مشوه الوجه .. وبخمس أرواح فقط.

انكب على عمله .. إنشاء ذلك استقبال زائراً .. أحد زملاء المهنة ..
ابتسامته عريضة .. ووجهه يضحك والصدق مرسوم بعناية على قسماته ..
مد يده للسلام لكن لغماً انفجر .. صرخ والألم يمزقه .. فعاد الصوت من
جديد :

— روح أخرى .. يبدو انك لا تتعلم .

استقبل صديقه .. رقص قلبه فرحاً :

— سأشكو لك همومي .

قال لها .. لكنها قدمت له وردة حمراء .. انفجرت بوجهه المشوه .
غادر مقر عمله .. صادفه أحد المارة .. بدأه بالسلام .. فقدفه الرجل
بلغم جديد انفجر في صدره فتناثر لحمه على رصيف الشارع .. للملم بقاياها
وواصل طريقه .. مر على متسول أعمى يمد يده للناس .. أعطاه شيئاً ..
قطعة من كبده .. التهمها المتسول بشراهة وأعطاه كرة صغيرة :
— إنها دعوة صالحة .

قال له .. لكنها لم تكن كذلك .. كانت لغماً آخر انفجر بين يديه
وسط قهقهة المتسول اللثيم .

— لم تبق لي سوى روح واحدة .

صاح بهلوع .. أسرع إلى منزله .. فتحت زوجته الباب .. صاحت
والرعب يملؤها .. انتبه إلى مظهره .. كان مسخاً حقيقياً بفعل ما
انفجر به من ألغام .. أسرع إلى غرفته .. أغلقها بإحكام وأندس في فراشه ..
تغطي جيداً ونام إلى آخر العمر .

المقايضة

.. لم يبق للجمل المنهك سوى القليل من الصبر ليتحمل قسوة الصحراء :

— أوشك أن أموت عطشاً .. لكن سمعتي لا تسمح لي .. أيتها الصحراء .. إذا كان لابد من الموت عطشاً فاجعليني جواداً أصيلاً .. لا أقبل بأقل من ذلك .

تكبرت الصحراء .. سكبت جحيمها الوهاج في رأس الجمل المنهك وأرسلت حبات رملها الملتهبة نذيراً بالهلاك .. لكنها أبرمت اتفاقها مع ضحيتها ..

مات الجمل .. قتله العطش .. وإلى الآن لازال أصحاب القوافل العابرة يتحدثون عن ذلك الجواد المذهل الحسن .. الذي وجدوه ميتاً في قلب الصحراء .. وإلى الآن لازالت الصحراء تمتهن قتل الجياد الأصيلة فيما تتحلى الجمال بالصبر .

أسطورة الجوع

جاء الفقير .. نهشه الألم .. استبد به الجوع .. عند ذاك اتخذ القرار الصعب .. أن يمد يده .. أن يسرق .. قبل أن يفعل ذلك اتجه إلى دار الثقافة .. قرأ كتاباً يقول أن حد السرقة قد أبطل ذات يوم لضيق ذات اليد عندما هجمت المجاعة على الناس .. قال الكتاب .. سرق أحدهم رغيف خبز .. وعندما قبض عليه العسس قرر القاضي أن لا يقطع يده .. واصل الكتاب حديثه .. التهم السارق الجائع رغيف الخبز وشكر القاضي وشكر الحضور .. وانصرف يعد أصابعه العشر آمناً مطمئناً .. إلى هذا الحد سكت سطور الكتاب .. وعند هذا الحد اتخذ الفقير قراره .

سرق رغيفاً .. أخفاه بعناية وأتجه إلى بيته ليطعم أطفاله الجائعين .. لكن الشرطة ألقت القبض عليه وسبق كالشاة إلى المحكمة بعد أن أكل من الضرب ما يغنيه عن كل طعام .. هناك نهزه القاضي .. واتهمه بتخريب الاقتصاد الوطني .. وزعزعة الاستقرار السياسي .. وطالب الإدعاء بأقصى العقوبات .. وسكت المحامي والعرق يغسل جبينه .. وأصدرت العدالة حكمها بسجنه مدى الحياة .

.. هناك .. في دار الثقافة وعلى أحد الرفوف المتربة كان الكتاب يشعر ببعض الخجل.

.. وممرت حياته الأولى .. انقضت وهو في السجن .. وأثناء ذلك مات القاضي والإدعاء وكذلك محاميه المتخاذل وعندما خرج إلى حياته الجديدة كان قد تعلم الكثير .. وبعد عامٍ واحد كان قد أصبح من وجهاء

البلد وأحد وجوهها المضيئة .. لم يكن ذلك لُغزاً مُستعصياً على الحل .. فقد سرق مخبِزاً كاملاً بدلاً من مجرد رغيف .
هناك .. في دار الثقافة تلك .. وعلى أحد رفوفها المُتربة .. كان ذلك الكتاب حائراً إلى درجة الدهشة .. عاجزاً حتى عن مجرد الفهم .

الأرنب الطيب

حتى عندما تجوع .. الأرناب لا تنسى خوفها لذلك نادراً ما تفقد حياتها .. تصلح هذه القاعدة للتعميم رغم الاستثناء الوحيد المتعلق بذلك الأرنب الطيب القلب الذي التقى وبمحض الصدفة تمساحاً طيب القلب مثله كان يبكي لبعض الظروف العائلية .. كان الأرنب الطيب قد سمع الكثير عن دموع التماسيح .. وكان التمساح قد سمع الكثير عن المذاق الشهى للحم الأرناب الطيبة .. لذلك كانت الرؤية بالغة الوضوح لكليهما .. امتنع الأرنب عن الشرب من النهر رغم العطش .. وظل التمساح يذرف الدمع لأسبابه الخاصة .. اشتد العطش بالأرنب فطلب من غريمه أن يتوقف قليلاً عن البكاء حتى يمكنه الشرب :

— لا تخدعني بدموع التماسيح .

قال الأرنب .. لكن التمساح شرح له الأمر :

— أقسم لك أيها الطيب إنها دموع حقيقية .. أنا

تمساحٌ شريف .. صدقني .

صدق الأرنب .. فأكله التمساح .. يحدث هذا كثيراً في عالم

التماسيح الحزينة والأرناب الطيبة المذاق .

أسطورة الموت

.. (خرابة الغلا ساعة أطلوع الروح .. يا ويلهم !!)*

بعد أن أكمل عجز البيت رمته بالسؤال :

— ولماذا هي خرابة ؟ .. من الذي خربها ؟ ..

أجاب بنفاذ صبر مزيف :

— ليست خرابة .. عليك أن تلاحظي الشدة على

حرف الراء .. خرابة .. يعني هم من يقومون بتخريب قصص الحب أي
إفسادها .. هؤلاء حسب ما يقول الشاعر .. يا ويلهم .يعني الويل لهم
.. هل وصل المعنى ؟ ..

وصل الشاي وما وصل المعنى .. شرباه معاً .. مدت يداً كالضياء
وأزاحت بعضاً من خصلات شعرها اللامع .. وإليه .. إليه فقط من دون
البشر صوبت عينان من جنة ونار .. رشفة واحدة ثم انتظم عقد الكلام :

— وماذا عن (طلوع الروح) ؟

— بهذا القدر من الجمال ولا تفهمين معنى (اطلوع

الروح) .. الروح .. الروح عندما تطلع .. عندما تُغادر الجسد لا تغادره
بسهولة .. يُقال أنها تتشبث بالحياة .. تتمسك بالبدن .. هل تعرفين
لماذا .. لأنها تعودت عليه .. العادة تُكسب الألفة .. أنا مثلاً .. اعتدتُ

• بيت مشهور للشاعر الشعبي الليبي (مراد)

عليك لذلك عندما يحدث ذات يومٍ أسود أن تفارقيني سيكون هو اليوم الذي
تطلع فيه الروح .. هل فهمتي الآن ؟

ابتسمت فتلون المكان بألوان قوس قزح .. فهمت الألوان .. ابتسم
قزح وقوس قزح لمجرد ابتسامتها .. ومضى الزمن .. مضى كعادته دون
أن يُخبر أحداً .

كانت إلى جانبه .. تُمسك بيده .. يده الباردة كالثلج .. وتبكي ..
كان ينظر إلى شيء ما في السقف .. مُنهمكاً في مُهمة صعبة .. روحه
التي حان موعد رحيلها .. يشهق .. ترتفع إلى وجهه المُسلم .. تتأهب
للخروج .. ربما من فمه أو أنفه أو عينيه .. لا أحد يدرى .. لكنها تعود
من جديد .. تعود إلى الجسد .. تودعه .. تضمه إلى روحها .. وتصعد
مرة أخرى .. فيشهق من جديد .

على جبينه وضعت يدها .. تلك التي كانت كالضياء .. أخبرتها
برودة الجبين انه سيموت .. اقتربت منه أكثر .. وقبل أن تغادرها الحروف
.. كانت الروح قد غادرت .. لم يعد ينظر إلى السقف .. لم يعد ينظر إلى
أحد فيما كان صوته يتردد في أرجاء روحها الخربة :
— هل فهمتي الآن ؟ ..

القاتل

قاتلٌ مأجور .. لمع نجمه وعمت شهرته الآفاق .. كان يقتل الرجل البالغ بمائة دولار .. والطفل بخمسين .. الشيوخ كان يقتلهم بالمجان لكبر سنهم .. وتقديراً للنساء الجميلات كان لا يتقاضى أقل من ثلاثمائة دولار على الرأس الواحدة ..

قتل الكثير .. في الصباح .. وأثناء سطوة الظهيرة .. وساعة يسدل الليل سواده .. كان يعرف جيداً كيف يقتل .. لكنه لم يعرف يوماً لماذا: — لعل هذا هو سر نجاحي .

قال للمذبةقة المنشغلة بتسريحة شعرها إثناء إحدى اللقاءات :

— ولكن كيف توفق بين عملك ودراسك ؟

سألته المذبةقة .. وعندما أجابها بأن التوفيق من عند الله دعت له بالمزيد منه .. المشاهدون كذلك رفعوا أيديهم المرتعشة يطلبون له التوفيق .. استحباب الله لطلب الأغلبية ومنحه التوفيق .

تلك الليلة مات المشاهدون .. ونامت المذبةقة بين ذراعي ضيفها .. في الصباح استيقظ القاتل المأجور وخرج إلى الناس ليواصل عمله ودراسه بفضل دعواتهم وتوفيق الله .

أسطورة الوطن المفدى

— يفخر المجتمع بأفراده الطيبين .. العقلاء .. وتفخر البلاد
بمن يحبونها .

قال المدرس لتلاميذه .. لكن أحدهم رفع يده بالسؤال :

— وكيف تعرف البلاد من يحبونها ؟

تنحى المدرس .. تثبت نظارته الطبية .. وأجاب بكل ثقة :

— هذا أمر سهل .. من يحب بلده هو من يعمل

لأجلها .. ومن لا يحبها هو من يتكلم لأجلها.

— ولكن لماذا لا تُحب البلد من يحبونها ؟

سأل أحد التلاميذ أستاذه فأجاب :

— هذا غير صحيح .. إياكم والظن السيئ

بالوطن .. إذا فقدتم الثقة بأرضكم فقد فقدتم كل شيء .. قلب الوطن مثل

قلب الأم .. بحجم الدنيا كلها .. قد نخون الوطن .. قد نطعنه في ظهره ..

قد نرحل عنه دون حتى كلمة وداع .. قد نستبدله بحقية سفر .. لكنه يبقى

دائماً وفيّاً لنا ..

ونبقى دائماً نحمله في حداقات عيوننا .. ولكن .. لماذا قلتم هذا

الكلام السيئ عن الوطن ؟

— لأنك فقير .. أنت تحب الوطن ولكنه بخيل معك

إلى أبعد الحدود .. أنت تعمل لأجله ولا تكتفي بمجرد الكلام .. ولكنك

فقير إلى درجة لا تُصدق .. أنت مثال سيئ لنا .. هل تريدنا أن نعيش
معدمين لا نملك ما يستر عوراتنا ؟

قال التلاميذ في وقت واحد .. جحظت عيونهم ونبتت لأيديهم
الغضة مخالب طويلة .. صاروا وحوشاً صغيرة شرسة الطباع .. مزقوا اللحم
معلمهم بأنيابهم القاطعة .. وعندما انطلق الجرس يعلن نهاية الدرس
كان المدرس قد اختفى .. صار قطعاً من اللحم الطري في بطون تلاميذه
الجائعين .. خارج المدرسة كان الوطن ييكي بمرارة ويطلب الرحمة للجميع.

أسطورة المطر

قال الحكيم :

ذات يوم تنادت السحب .. تجمعت .. مدت أياديها البيضاء بلون القطن وتشابكت أصابعها الرخوة وقطعت على أنفسها عهداً :

— أن نمتنع عن المطر حتى يموت البشر .. البشر الذين افسدوا الأرض .. الأرض التي نرونها من أحشاءنا .. التي نموت نحن لتحيا ..
أضاف الحكيم :

وهكذا كان .. امتنع المطر .. صار حلماً بعيد المنال .. وتشققت الأرض .. مزقتها العطش بأظافره ومن أحشائها أخرج الصحراء .
.. في السماء كانت السحب تشعر بالملل وتذرع الفضاء الفسيح دون عمل وتواصل الإضراب إلى أن جاء ذلك اليوم .
.. هدهدٌ مثابر لم يزل يحترف مهنة المراسل الحربي منذ أيام النبي سليمان وصل حاملاً النبأ :

— حدث خطأ رهيب .. البشر الطيبون وحدهم الذين ماتوا أيها السحاب الفاتن .. الأشرار وجدوا طريقة للعيش .. صارت الأرض بوجودهم أكثر فساداً.

مجدداً تنادت السحب .. عقدت اجتماعاً طارئاً .. قررت التزول لمعرفة المزيد .. كان المشهد مرعباً الى حد لا يُصدق .. البشر الأشرار يأكلون كل شيء ويشربون دماء الطيبين ليواصلوا العيش .

شعرت السحب بالخلجل . عادت إلى عليائها والندم يلو كها كما يفعل
الجائع بقطعة خبز .. يقول الحكيم :
ذلك اليوم عرفت السحب معنى الخلجل وقررت أخيراً إنهاء إضرابها
.. إلا إن دماء الطيبين ظلت مشروباً مفضلاً إلى هذه الساعة.

اسطورة الحكيم

قال لى الحكيم :

منذ دهرٍ بعيد .. قبل ان تولد .. خلقت ألف غابة وغابة .. وخلق
ألف ديناصور وديناصور .. وخلق الانسان .

وعندها ولدت ألف ليلة وليلة ومات ألف انسان وانسان .
قلت للحكيم :

كل هذا الصخب كان قبل أن أولد ؟
ولكن الى متى ستدور الدائرة على هذا الشكل .. ألن يتعب التعب ؟
ألن يتشاءب الملل ؟

أراد الحكيم أن يياغتنى بالجواب لكن جواباً آخر باغته ..
مات الحكيم ..
ومات معه ألف جواب وجواب .

أسطورة الجبل الأسود

تشاءب الجبل والمثلل يقتله :

_____ صرتُ عتيقاً أبعث على السأم .. كشرت
مغاورى ونبتت لي كهوف كثيرة حتى أصبحتُ مخبأً للصوص .. وهذه
الشجيرات التي لا شأن لها .. تطاولت وزرعت جذورها في جوفى .. أنا ..
الصخر الصلد .. أصبحتُ مهترئاً سهل الاختراق كقطعة جبن .. فلا نامت
أعين الجبناء .

أقبل الليل كعادته ..

أسدل ملاءته السوداء على الجبل لكن هذا الأخير كان ضحية لأرقٍ
بالغ السطوة :

_____ اجعلنى أسوداً على الدوام .. هكذا تموت
الشجيرات ولا يراني البشر .

وافق الليل ..

ترك ملاءته مسدلة على بدن الجبل وغادر المكان .. لكن دليلاً سياحياً
مثابراً اكتشف الأمر فصار الجبل مزاراً للسياح من كل بلد يتحولون عبر
دروبه ويعودون بصخرة سوداء على سبيل الذكرى .

تاجر حاذق اقترح فكرة جديدة ..

صاروا يبيعون صخوره السوداء النادرة وبمختلف الأحجام ..
اصبح الجبل المنيع سابقاً شواهداً أنيقة على قبور أثرياء ماتوا من
التخمة .. وتحفأ تأخذ بالألباب على مكاتب رجال الأعمال .. وهدايا

سريعة المفعول لكبار المسئولين .. ودرباً مؤدياً إلى قلوب العاهرات ثم إلى أفخاذهن كما جرت العادة .

وهكذا تأكل الجبل .. تقول الأسطورة .. تناقص .. كان الندم يأكل من جسده صخرة أو صخرتين كل وجبة .. وكانت القوافل تتاجر بلحمه الحي كل مطلع شمس .. حتى انه استنجد بالريح في نهاية المطاف :

— سأبعثك رسولاً .. قولي لذلك الليل أن يعود .. أن يسترد عباءته السوداء .. لا تتأخري .. أنا بالانتظار .

وتأخرت الريح .. تسكعت طويلاً .. غازلت ضفائر البنات ولعبت مع صبيان المدارس وتلاعبت بالسفن في عرض البحر قبل أن تخبر الليل بكل شئ .

وتأخر الليل ..

أنجز بعض الأعمال الضرورية .. وانتظر حتى انتهى العشاق من مواعيدهم .. والخونة من حبك مؤامراتهم .. ومعدومو الضمير من الاستغراق في أحلامهم

الوردية .. ثم أسرع إلى حيث ذلك الجبل .. مديده الغارقة في السواد ونزع عن الجسد الحجري عباءته المظلمة .. لكنه لم يجد سوى كومة متواضعة من الأحجار التي فارقت الحياة لتوها .. مات الجبل .. وبخشوع اعتاد عليه أسدل الليل ملاءته من جديد على الجثة المأسوف عليها وعاد أدراجه متثائباً يقتله الملل .

اسطورة العام الجديد

ولد العام الجديد ..
صرخ كأى طفلٍ يرى النور للمرة الأولى فرق له قلب القمر :
_____ سأرضعك حتى تكبر .
لسعه البرد فصرخ مجدداً لكن الشمس تدخلت :
_____ إليك بعض الدفء .. إن لي قلباً
على أي حال.
داعبته الريح وغنت له الطيور .. وعندما أساء له العطش تبرعت
السحب بالمطر السخي .. صار يافعاً جميلاً الصورة :
_____ الآن ستقابل البشر .. ستعيش
معهم .. تولد في السماء وتموت في الأرض .. هذا قدرك .
قالت له الدنيا وانصرفت دون وداع .
نزل من عليائه ..
تجول في دروب الأرض .. أساء إليه غبار الأزقة ولوث دخان المصانع
رئتيه .. كانت الحروب المتتالية تحرق كل يوم قطعة منه فيما كان الخونة
يبيعون أعضائه لهواة الآثار النادرة .. والفاسدون يزنون به لمجرد المتعة ..
والتجار يقايضون به السلع النادرة .. والسفلة يشهدون ضده زوراً في
المحاكم الشرعية وأنصاف المثقفين يغتابونه في الصحف الرديئة .. والجزارون
يذبحونه على مهل .
عاد للصراخ ..
مجدداً عاد يصرخ .. لكن أحداً لم يسمعه ..
حتى هذه اللحظة لا زال يصرخ ويموت بعضاً منه كل يوم بينما يغزو
الشيب رأسه ويأكل الصدا صدره ويلوث دخان المصانع رئتيه .

اسطورة العاهرة

استيقظت العاهرة ..

داعبتها خيوط الشمس وهمست لها بشيء :

— هذا يوم جديد .. هيا .. تحملي .. املاى عينيك كحلاً

ولونى شفتيك بالأحمر الفاقع واكشفي جسدك بقدر ما يسمح به القانون
وابدأى العمل .

وبدأ العمل ..

كانت تبيع جسدها حسب الطلب ..

عداً ونقداً لأصحاب الحوانيت والمخابز وتجار الجملة .. وبالتقسيط
المريح للموظفين ومحدودى الدخل .. وبالدين لطلاب المدارس .. وتحت
جنح الظلام

للمتبحرين بأمور الدين .. وبعيداً عن الرأي العام للمسئولين ..
وبالكثير من الرأفة لأولياء الأمور .

كان جسدها متهتكاً بلا حدود لكنها كانت تملك قلباً من ذهب ..
كان لها جسد عاهرة وقلب قديس .. بعد أن يغادر آخر الذئب .. كانت
تغتسل .. وتفتح تلك الخزانة العتيقة .. ترتدى ذلك الثوب .. ثوبها القدم ..
ثم تفتح شباكها لليل .. تدعوه للدخول .. تستقبله على حافة الشباك
وتسند رأسها المتعب على سواده وتبكي :

— هل تذكرين ؟

يقول لها :

_____ كنت طاهرة كالثلج .. كانت أصابع أهلك تملأ جيوبك بالحلوى وصدر أمك يملأك بالدفع .. كنت تلعين هنا وتملئين سكوبي بالفوضى .. لم اعرف طعم الراحة إلا عندما أكلتك الذئب .. عندها استرحت .. فقد أصبحت تنامين بعمق .. ينهكك العمل .. أليس كذلك؟
لم تكن ترد بشئ .. تبكى فقط .. لكن قلبها كان يكبر بلا حدود حتى يصبح بحجم الدنيا .. ذات يوم وقع المخطور :

_____ سأبحث عن جسد آخر .

قال لها بينما كانت تنهأ لحضن جديد :

_____ هذا ليس وقتاً مناسباً .. بعد أن انتهى سنتكلم معاً .

قالت له العاهرة .. فيما انهمكت في واجبها اليومي .. كانت تعمل بإخلاص يفتقر إليه عمال المصانع ولا يدعيه موظفو الدوائر الحكومية .. لكن ذلك القلب تكلم من جديد :

_____ انتظرت طويلاً .. لا الذئب تشبع من اللحم ولا اللحم يملك انياباً كالذئب .. لذلك سأرحل .

قالها ومضى .. صرخت وراءه .. تكلمت .. لكن شيئاً لم يحدث .. عند مطلع الشمس كانت الخيوط الذهبية تداعبها .. تطلب منها يوماً جديداً كالعادة .. لكنها كانت قد ماتت .. انتحرت كما يحدث في الأفلام الرديئة .. هذا لا يهم .. تقول الأسطورة .. ما دام هناك المزيد من الأجساد وما دامت الذئب لا تشبع من اللحم .

اسطورة الأساطير !!

على جدار كهف موغل في الظلمة والغموض معاً كُتبت حكاية .. لم يصدقها البشر وامعائاً في حسن الذوق منحوها اسماً لائقاً بعض الشيء .. قالوا إنها اسطورة .. قالوا أيضاً إن القرد المتطور الذي كتبها ذات يوم لم يكن مدعياً ولا من هواة الكذب لكنه كان يخلق في فضاء الخيال بعض الشيء ..

— ربما انهكته مطاردة ديناصور شقى فلجأ الى هذا الكهف

وحدث ما حدث .

قال أحدهم :

— ولماذا لا يكون عاشقاً ؟ .. العشاق وحدهم يتقنون

كتابة الأساطير .

اقترح آخر :

— لنغلق هذا الملف .. انه مجرد قرد سئ الخلق يلوث

الجدران بالفحم .

رحل الجميع .. تركوا خلفهم اسطورة نُحتت على جدار كهف .. ومضى الزمن .. ومات البشر .. كلهم .. بعضهم مات بالبرد والآخر بالغباء .. هناك من قتله التفكير .. وهناك من مات بالذل .. أو سقط من شاهق أو ابتلعه البحر .. أو ضيعته الصحراء .. هناك ايضاً من افترسه نمر جائع أو استباح لحمه بشرٌ لا ضمير لهم ماتوا جميعهم ..

تلك الليلة فقط نامت الدنيا كما ينام طفل هذه التعب .. متوسدة ذلك الكهف القديم .. بيدها قطعة من فحم وعلى الجدار اسطورة لم تكتمل.

الموت مرتين

مات الفقير الذى شبع شرفاً وعفة ..
أقبل المشيعون .. يمشون بخطىً وثيدة ويحملونه على أكتافهم كما
جرت العادة .. التهمته حفرة الأرض وغطته ألواح الإسمنت .. تركوه
ومضوا .. بعضهم انتهك حرمة بيته .. أحدهم غازل زوجته .. آخر
اضطهد أطفاله .. فى قبره تنهد الرجل .. أراد أن يبكى لكنه تذكر موته
(الموتى لا يبكون) قال له القبر .. الموتى فقط يموتون مرتين .. امثل الميت
للأمر ومات مجدداً فيما كان بعضهم يضطهد أطفاله والآخر يغازل زوجته .

المُجامل

— معظم النار من مُستصغر الشرر .. الواقع إن الحدث البسيط .. اللقطة السهلة .. تصنع عادةً اكبر المشاكل ويبدو إنني تورطت الآن.

تلاعبت به الظنون ..

عامله الشك ككرةٍ من مطاط .. قذفه هنا وهناك .. ضرب به مائة حائط وحائط حتى تورمت جبهته :

— الآن .. نريد حسماً لهذا الموضوع .

كان يسير متمهلاً كعادته ..

يطفح وجهه بالهدوء ويشتعل رأسه بألف خاطرة .. وكالطيف تسرب إلى ذلك الزقاق المظلم كطريقٍ مختصر إلى الشارع المقابل :

— من حسن الطالع أن يعثر المرء على طريقٍ مختصر فالوقت

ثمين .. ولكن أية قيمة للوقت ؟ .. كان من الأفضل أن لا أتورط في زقاقٍ

مُترب وقذر كهذا .. ولو إن للأزقة المظلمة سحرها الخاص .. إنها ملاذ

العشاق والشعراء .. ولكنها تستقبل ايضاً السفلة وقطاع الطرق .. ربما

كان عليّ أن ابتعد عن هذا الدرب .. لكن الاختصار مفيد وضروري .. في

الواقع يصعب الحكم على مسألة كهذه .

هكذا بدأت المسألة ..

بداية مستهلكة .. قديمة كآية خرقه بالية .. بابٌ يُفتحُ بلا مقدمات
وبنتٌ كالبدن الطالع لتوه من وراء غيمةٍ كثيفةٍ تسكبُ ماءً آسناً من دلوٍ قدر
على أرض الرقاق في نفس اللحظة التي اختارها جنى أمهكه التجوال بين قارات
العالم فاستلقى على ذرة غبار تلاعب بها الهواء حتى قاده إلى أسوأ ما يمكن أن
يحدث لجنى مكتمل الهيبة نافذ السطوة مثله:

— ماءٌ قدر ؟! .. وعلى من ؟! ابن ملك ملوك الجن .. لا نامت
أعين الجبناء !

دمدم الجني .. أحس بالإهانة .. عصف به الاستياء ولبرهة شعر إن شرف قبيلةٍ
كاملة من الجن النقي السلالة قد لوته ماء قدر من دلو لا يقل قدارة .

— سأتزوجك .. الآن .. سأجعلك زوجتي السابعة والسبعين ..
واحتقاراً لك لن انجب منك أولاداً .. ولن يكون لك بيت خاص بك كباقي
نسائي .. هذا هو العقاب .

طلبت البنت عوناً من أحد .. أي أحد .. من عابر بمحض الصدفة
فكان هو العابر .. وكانت أضلاعه ترتجف كورقة في مهب الريح :

— الحقيقة انك متسرع قليلاً .. أقصد .. لقد أخطأت الفتاة
بحقك .. لا يجوز أن نرمى أبناء الملوك بمياه الدلاء القدرة .. ولكن ..
فلتسمح لي .. ربما لا يليق بجني مرموق مثلك أن ينام في عرض الشارع ..
ولكن .. لعلها أزمة السكن .. أنا أيضاً أعاني .. سأتزوج قريباً ومشكلتي
السكن .

أسكنته الجني ..

استبد به الغضب واستطال وجهه حتى استحال خيطاً رفيعاً فزاد ذلك من
بشاعة مظهره :

— الفتاة تريد منك حلاً .. وأنا أنتظر الجواب .. وأنت

تتحدث عن أزمة السكن .. لقد بدأت أستاذ منك أيها البشري المجامل .
فقد اتزان لهبره .. مد يده وتلمس رأسه .. فعل ذلك مرات عديدة بينما
كانت آلاف الخواطر تعصف به :

— هذا صحيح .. في الواقع لا يبدو الحديث عن أزمة السكن

لائقاً .. الواقع انك محقّ بعض الشيء .. وهذه الفتاة في الحقيقة مخطئة
قليلاً .. لا أحد يرمى المياه في عرض الشارع .. أليس الأمر كذلك سيدي
الجني المحترم؟

صاحت البنت .. أمسكت بمعطفه الباهت اللون والدموع تفر من عينيها :

— أنت أملئ الأخير .. انه مجرد جني غريب الطباع .. هذا

زقنا .. وهذا بيتي الذي عشت فيه .. إنها حياتي التي تخصني وهو الدخيل
عنها .. كيف تريدني أن أرى كائناً ينام على وسادة من غبار؟ .. أرجوك ..
سأكون ضحيته إذا لم تتدخل .. اتخذ موقفاً .. هيا .. أنا بالانتظار .

أحس بالإحراج وانهمر العرق يغسل جبهته العريضة :

— هذا صحيح .. أنت محقة قليلاً .. أليس كذلك أيها

الاستاذ .. أقصد أيها العفريت ؟ ..

انه شارعها وهى بالطبع لم تقصد .. أليس كذلك ؟ .. ربما تقصد .. أقول
ربما .. ولكن تستطيع أن تغفر لها .. للجن عقولاً راجحة بعض الشيء ..
أقصد إنكما محقان تماماً .. صحيح إن المياه قدرة .. في الواقع لماذا تنام أنت
أمام بيوت الناس .. هذا سؤال آخر .. ولكنك محق أيضاً .. أنت متعب
بعض الشيء ومن حقت أن تنام أليس كذلك ؟ .. ثم إن ذرات الغبار تبدو
مريحة قليلاً .. هي مريحة .. أليست كذلك أيها الجني البهي المنظر ؟
سمع الكثير من الإطراء ..

تملق له الكثيرون .. وناققه عدد لا يُحصى من البشر والجن على حد
سواء .. امتدحه فلاسفة الإغريق وتواضع له أباطرة الرومان وقبلهم غازله
فراعنة مصر .. نظم له شعراء الجن أجود القصائد وأكثرها كذباً وتبجحاً ..
لكن أحداً من هؤلاء لم يجرؤ يوماً على التطرق لمسألة جمال الشكل أو روعة
التقاسيم والملامح أو ملاحظة الوجه .. لسبب لا يخفى على كل من طالع
صورته والتقى به .. فلم يكن إلا النسخة الأصلية للبشاعة مجسمة تتحول كل
يوم بين قارات الدنيا وترتاح آخر النهار على أول ذرة غبار تصادفها .. لذلك
.. لهذا السبب بالذات .. وعندما سمع للمرة الأولى في حياته العامرة من يطرى
جماله المزعوم قرر أمراً لا رجعة فيه .. وفي لمح البصر كانت البنت الرائعة
الجمال قد نالت عفواً غير مشروط فيما كان البشرى صاحب المحاملة الكبرى
في تاريخ الجن يتحول إلى وسادة وثيرة من غبار يمتطيها جنى هائل البشاعة
ويدفعها الهواء العابر إلى حيث تشاء لها الصدف .

لجنة تفتيش

لجنة تفتيش .. الوجوه صارمة والنقاط حادة لا قلب لها .. وربطات العنق على أحسن ما يكون .. إما ألوان المعاطف فرمادية لا توهي بالبهجة ..

لجنة تفتيش .. لا ابتسامات .. لا وجوه تنطق بالقليل من سعة الصدر .. ولا صدور تتسع لبعض ما تتسع له الصدور ..

لجنة تفتيش .. حيث الأوامر والنواهي .. حيث القبول يولد من الوجوه الصامته والطاعة ترتسم وشمًا على الجباه ..

لجنة تفتيش .. نطق مدير الدائرة بالكلمة المهيبة فارتجت الدنيا وطار الصواب وسكن المضطرب وتحرك الراكد .. فُتحت الأدراج المغلقة وأُغلقت أخرى .. واختفت ملفات وظهرت إلى حيز وجودنا ملفات غيرها .

لجنة تفتيش .. حيث القلوب تتوقف عن العمل .. والأشواق تدخل الثلاجة الى حين :

_____ هيا .. جهزي الأوراق فالوقت ضيق .

صاح فلان بفلانة .. دوغما صباح الورد التي اعتادها .. دون حتى نظرة .. فلان آخر أوصد ذاكرته بوجه أحلامه السرية .. لم يتخيلها كما يحب .. (ليس هذا وقت الشبق) انه الزمن الحرج .. اللجنة وما أدراك ما هي ..

نكون أو لا نكون .. (هذا أوان الجلد فاشتدى زيم) .. نُقِشت هذه
الكلمات وامثالها على عقلنا الباطن .. (وهجر الغانيات وشرب كأسٍ) ..
جادت ذاكرة المدير الإداري بصدر البيت فنهره زميله (طبعاً هذا ما يشغل
بالك) .. تدارك أمين سر المكتب الخطأ فتمثل : (إني إذا ما نعى الناعي
كلياً) لكن الرد كان قاسياً (ألم تحفظوا غير هذه القصيدة أيام المدرسة ؟
ما دخل الكلاب في الأمر ؟) ..

ساد الصمت .. نضب المعين .. لكن الحركة لم تهدأ .. عند التاسعة
تماماً كان كل شيء مهياً لقدم اللجنة .. كنا قد استبدلنا كل شيء بأفضل
منه .. حتى نحن .. كنا قد أصبحنا بشراً مختلفين .. باستثناء أسماءنا لم نكن
نحن .. أحدنا استبدل حتى هوية جمع الطوابع بالمطالعة .. وآخر استبدل
زوجته بأخرى طالما تمنّاها .. هناك من عثر ومحض الصدفة على أخلاق
أفضل من أخلاقه فتحلى بها .. بعضهن ارتدت براءتها القديمة لبعض
الوقت .. إما فيما يخص مدير الدائرة فقد استأجر وبثمن باهظ شخصية أحد
الخلفاء الراشدين .

وجاءت اللجنة ..

المعاطف الرمادية والوجوه الصارمة والتقاطيع الحادة كأسنة الرماح ..
تجول الأعضاء الصارمون في أرجاء الدائرة .

تفحصوا .. طالعوا كل شئ .. تأكدوا .. وعندما انتهى الوقت كانوا
قد افهوا مهمتهم المقدسة .. (كل شئ على ما يرام) قالت المعاطف
الرمادية للوجوه الحادة الملامح .. كنا ننتظر .. هناك بعيداً عن الأنظار ..
بعيداً عن أشباهنا الذين يرتدون أسماءنا ويتعلون أحذيتنا للمزيد من
التمويه .. كنا نبتسم بخبث ونراقبهم .. أعضاء اللجنة الموقرة .. لجنة
التفتيش .. وهم يخلعون معاطفهم ويرمون بربطات العنق ويعيدون بأصابعهم
الحادة رسم تقاطيع وجوههم من جديد .

أجذاب !!

(1)

___ ولكنى لا اشربها .. لا احب القهوة .

___ لكن الطالع يسكنها .. لن ترى وجهك إلا في قعر فنجان.

___ أراه في المرأة وهذا يكفى .

___ المرأة لا تريك إلا ما ترغب أنت برؤيته .. لكن طالعك لا

يعبأ بك .. انه يحدث كل يوم .. يتجدد .. يرم الصفقات .. يتسم أو يعبس وجهه .. قد يهزل حتى يصبح كأطفال المجاعات وقد يموت من الشبع .. هل تعرف إن طالع المرء قد يموت ؟ .. أعرف شخصاً مات طالع .. يقولون انه انتحر أو غرق في قعر فنجان قهوة .. لا فرق .. المهم انه اصبح بلا طالع .. لذلك لم يتحرك خطوة واحدة .. حفر لنفسه قبراً يليق برجل بلا طالع ومات فيه.

وشربت ..

خفتُ من نهاية مماثلة فشربت .. وكان طالعي يسكن القعر .. حمدت الله انه لا يزال حياً .. لكنه كان يرفض الخروج من مكمنه .. حاول العراف .. بذل جهد الجبابة .. استعان بالجن .. سخر المردة .. وداخل فنجاني اندلعت الحرب الكبرى ..

تدخل الجن وجميع الألوان .. الأحمر للقتال الشرس .. والأبيض
لحاولات الإقناع الودية .. والأصفر لبعض التهديد .. والأزرق لارتكاب
المجازر.

تعالى سحب البخور .. دمدت المهمات الساخنة ودقت
الطبول.. وأصبح قعر ذلك الفنجان ساحة حرب حقيقية .. لكن طالعي
المكابر ظل معتصماً بقعره محتتماً بصمتٍ أزلي لا يموت .
وهكذا كان ..

قُتل طالعي .. أصابته صاعقة طائشة من مارد في سيفه الكثير من
الرهق .. سكت كل شيء ووضعت الحرب أوزارها .. غادر الجميع وبقيت
أنا .. وحيداً لا أشرب القهوة .. متعباً احفر بهمة لا تفتر قبراً يليق برجل
بلا طالع .

(2)

اضطجع بساط الرمل .. تمدد .. امتلاً تماماً بالوهج الذي يهطل من
تلك الشمس المتكررة .. تنفس الريح الساخنة وتقلب في كل اتجاه .. نهض
في هذا الركن كثيراً متواضع الطموح وتسلل هناك سيفاً مخادعاً وهبط في
جزء آخر وادياً من جفاف لا يرحم .
عبثت به القبلى .. ناوشته .. نشرته ملاءات من غبار جاف .. لكن
تلك الغيمة البعيدة أقبلت :

— إذا كنتُ محظوظاً ستمطر .. إذا كنتُ اقل حظاً

ستحجب عني الشمس لبعض الوقت .. أنا الرابع على أي حال .

قال بساط الرمل .. انتظر .. راقبها .. تأملها بلهفة .. بجوارحه

كلها.. بذرات رمله الملهبة ..

هناك .. في الأعلى .. تمادت الغيمة .. تغنجت كامراً لعوب ..

اقتربت قليلاً من قرص الشمس الناري .. تأهب البساط .. تحفز .. داعبته

الأمنية البعيدة وتراءى له السراب .. ابتعدت .. تراجعته بعض الشيء فامتلاً

بالحسرة لكن شيئاً من الأمل ظل يسكن خياله .

مر الوقت ..

يوماً بعد يوم .. سنة بعد سنة .. وإلى الآن لا زالت تلك الغيمة

المتمنعة تلعب بأعصاب ذلك البساط القاحل فيما يناوشه القبلى وينشره

ملاءاتٍ من غبار جاف.

(3)

.. أغلق البئر فاه ..

تكرمت السماء بالمطر طيلة اسبوع كامل لكنه أثر العطش ..

— هذا لا يجوز ..

قالت السحب الحبلى بالماء :

_____ البئر لا يغلق فمه .. البئر لا يملك إلا أن

يشرب لكي تشرب الدنيا منه .

أصر على عناده .. خالف النواميس وضرب بالمتعارف عليه عرض الحائط.

_____ هذا مجرد خطأ شائع .. البئر ليس مجرد حفرة

بلهاء .. أستطيع أن أغلق فمي على الأقل .

قال البئر والعناد يسكنه .

.. تشقق بدنه وتسلسل إليه الوهن حتى إن العناكب الوضيعة تطفلت على أركانه المظلمة .

_____ هناك بعض الحلول الممكنة .. الرشوة قد

تصنع المعجزات .. اقترحوا على هذا البئر العنيد ان نبعث له بحسنا تستقى منه وعاشق يناوشها بغزلٍ لا شبيه لروعته .. يتحاوران على حافته كل يوم ذات يوم .. يفوز البشر بالماء وينعم هو بالخلود .

اقترحت الريح ..

فكر البئر بالأمر .. استعرضه من جميع الوجوه :

_____ يقصدين العشاق وتغادرني العناكب وفوق

ذلك انعم بطول العمر .. عرض لا بأس به .

وافق البئر بنية حسنة .. فتح فاه .. امتلأ بالماء العذب .. اصبح البئر
المهجور سابقاً واحة يتعانق في سماءها النخيل ويتمدد على جسدها العشب
الأخضر .. لكن عاشقاً واحداً لم يقصد البئر .. همسة واحدة لم تداعب
سمعه القوى .. كان التجار يتوافدون عليه معظم الوقت .. يتجادلون
بأصوات عالية .. يعرضون بضائعهم .. يقايضون .. يحصون أموالهم
الوفيرة .. يمدحون الربح او يشتمون الخسارة .. يتقاتلون .. يتقاسمون
النفوذ .. يغتالون بعضهم غيلةً ويبيعون جمالهم الصابرة بأسعار لا تنافس ..
يملأون النهار بالجلبة والليل بالآثام .

ذات صباح عُثر على البئر ميتاً رغم وفرة المياه .. والى اليوم لا زال
السبب مجهولاً .. لكن الثابت والمتوارث الى يومنا هذا ان التجار لم يفوتوا
الفرصة .. باعوا أحجاره الى هواة الآثار ومياهه العذبة الى القوافل المارة
فيما لا زالت الغيوم تُمطر جثته بالمزيد من الماء العذب وتدعو له بالرحمة ليل
نهار .

موت جمل !!

كابِر الجمل ..

تجمل .. ارتدى قناع الصبر .. دفن عطشه القديم ومضى .. مارس
الكذب ألف مرة :

___ أنا الجمل .. سيد الصابرين وسفينة الصحراء .. خلقتُ

للعطش .. للسنين العجاف .

صدّق الكذبة وظل يحفر بخفه العريض وشماً غائراً على وجهه بساط الرمل
المسطّح بلا نهاية .. كان يبدو مهيباً فخماً كملوك الجن .. غامضاً ككل
الأساطير .. هذا عن الخارج .. إما في داخله فقد كان العطش ينهشه بلا رحمة .
تخيل جرعة ماء .. زين له الوهم واحةً هادئة مترعة ببخيرة عذبة المذاق
تنحني عليها بضع نخلات مكابرات :

— اشعر بالعار .. ها أنا أقع ضحية للسراب الخادع .. لستُ

جملاً أصيلاً .. يخامرني الآن شك في نقاء سلالي .. ربما ولدت من رحم ناقة
سيئة السمعة .. قاتل الله سوء الظن .

استبد به العطش ومدت له الصحراء لساناً من نار :

___ لستُ أماً لأحد أيتها القطعة من جحيم .. ألا تقول الروايات إني

ابنك ؟ .. سفيتك ؟ أتبخل الأم على جنينها بقطرة ماء ؟

عجز عن المسير .. توقف .. جال بعينه الحزنتين في الفضاء الساكن ..
خمسون يوماً كاملة مرت دون أن يشرب .. دون أن يشرق بالماء الزلال ..
دون أن يغوص برأسه العجيب مستشعراً برودة الماء العذب :

— للماء العذب برودته المميزة .. انه يحتويك .. يحضنك
ويقبل روحك بخنان تعجز عنه أطيب الأمهات .. عندما تستنجد به من وهج
الرمال الملتهبة فانه يتحسسك بأنامله الرطبة .. يسقيك من بدنه الرقراق ..
يبعث فيك حياةً جديدة .. لكنه يتركك بعد ذلك مدعناً لقانون الصحراء
الصارم .. العطش أزل والارتواء عبور .. العطش أزل والارتواء عبور ..
لتسقط نواميسك أيتها الصحراء .

عاد للهديان وقد فقد تماماً قدرته على مجرد الوقوف :

— كيف تجلس الجمال ؟ كيف تضطجع ؟ الحق إني لم
أصادف جملاً معدوم الهمة مثلي .. الجمل الحقيقي لا يحيا فوق هذه الصحراء
إلا واقفاً .. انه يضرب رمالها البليدة بخفيه العظيمين ويتطاول برقبته العوجاء
على كثرانها المراوغة .. الجمل الحقيقي يتهدى .. يزهو بسنامه الشاهق ..
ينظر الى الدنيا من عليائه .. يقترب من السماء ويدوس على الأرض .. هكذا
هي الجمال .

تبجح قليلاً .. لكنه سقط .. رغم كل هذه المظاهرة الإعلامية الصاخبة
سقط الجمل .. كان العطش يقتله .. حتى انه صار يرى كل ما حوله غائماً
رمادياً .. تطلع إلى الأعلى .. كانت الشمس قد تربعت على عرش لا تراه

الجمال في العادة .. كانت قد توهجت .. امتلأت بالنار حتى التخمة .. حتى
إنها اقتربت من الأرض مستعرضةً جبروتها لبعض الوقت .. عندها أدرك
الجمال كل شيء :

— هي إذن مؤامرة .. مكيدة .. الصحراء تمد يدها للشمس

لكي تموت الجمال المكابرة .. فقط لو يسمح الماء .. لو يمد لي يده .
تخلّى عن أمنيته الساذجة ليواجه السراب الذي تراقص أمامه معلناً عن
اقترب النهاية .. أدرك إن الأمر قد انقضى عندما سكّت كل شيء .. انطفأت
المصابيح دفعة واحدة وتجرأت ذرات الرمال الساخنة حتى سكّت حدقتيه :

— الجمال لا يموت عطشاً .. يبدو إنني سأجلب العار لكل
جمال الدنيا .. الجمال يموت بعناده .. فداءً لسيده الشجاع .. بمحض إرادته ..
لكن بالعطش .. هذا أمرٌ لا تطيقه الجمال .

واصل هذيانه .. لكن العطش لم يتوقف عن الفتك به .. عندها قرر
أمراً .. استدعى كبريائه القديم .. استنجد بماضى اجداده الغابر .. أسياد
الصحراء ومحترفي الجفاف .. وبما تبقى له من جهد وقف من جديد .. وقف
والأعياء يجلده والهلاك ينهشه بنهم .. تماسك لبعض الوقت .. داس على
الرمال بخفيه العظيمين وتطاول برقبته العوجاء متهادياً بسنامه الشاهق هامساً
في وهنٍ ظاهر :

— هكذا هي الجمال !!

الدائرة المغلقة

— صباح الخير ..

أنا الحزن .. سأقتلك هذا اليوم .. ستموت حزناً .. وسيقتل الفضول طبيبك الشرعي دون ان يعرف سبب وفاتك .

قلتُ صباح الخير ..

هل نبداً ؟

لم افتح له الباب .. لا يتهمني أحدكم بالغباء .. فقد وجدته مضطجعاً على وسادتي عندما استيقظت .. صبحني بالخير وسألني هل يبدأ .. ظل يفعل ذلك حتى اقبل الليل :

— مساء الخير ..

أنا الحزن .. في الواقع كنت أنوي اغتيالك بداعي الحزن .. لكنك لم تنهض من فراشك حتى الآن .. أليس لك نهار عمل ؟ لن يكون قتلك ممتعاً بهذه الصورة .

لم يطاوعني الكلام .. كنت افتقد إلى الحافز .. انكفأت على داخلي .. أحرق ملياً داخل الصدر المنهك وأمضغ لغةً لم تُخلق بعد :

— دائرة مغلقة .. لا أكثر ولا أقل .. وبين الليل

والنهار سيكبر أطفالي .. ستنبت لهم أجنحة وسيرحلون .. أثناء ذلك سأكون قد خسرت عمراً كاملاً وحبيةً لن تعود .. سأفقد أصدقاء العمر

ثم العمر نفسه .. سأموت مائة مرة .. أثناء ذلك سأصبح كهلاً ابعث على
السأم .. ستكتمل الدائرة .. فلماذا استيقظ إذا ؟
أشرق الشمس مجدداً وغربت .. فعلت ذلك ألف مرة .. و لم اكن
قد استيقظتُ بعد .. لكني رأيت فيما يرى النائم إن الحزن بشحمه ولحمه
قد وجد ميتاً على طرف وسادتي .. بينما يؤكد شهود العيان ان طبيبه
الشرعى لم يقتله الفضول لمعرفة سبب الوفاة هذه المرة.

ذاكرة الصفيح

لا نساء ..

المرأة الأخيرة أُحرقت منذ اسبوع .. واطباء التوليد المخلصون يوافون السلطات بآخر الأنباء المتعلقة بولادات الإناث .. لذلك فالوآد (بحمد الله) يسير سيراً حسناً .

لا نساء ..

صحيح إننا لم نحقق هذا الإنجاز الحضاري إلا بالكثير من الجهد .. لكننا وصلنا أخيراً ..

في البداية كانت عقدة الذنب وخاصةً فيما يتعلق بالأمهات .. العاطفة .. تلك الثغرة في كيانا الصناعي الوليد .. لكننا انتصرنا .. قتلنا في البداية كل من بلغت الستين .. كانت مجزرة صغيرة .. لكن الأمر مر بسلام فاختراع القلوب المعدنية كان فعالاً إلى أبعد الحدود .

كان لابد من إزالة كل الشبهات .. كل العواطف الساذجة التي قد تعود بنا الى السوراء .. وهكذا .. وبموجب نظام تقني متطور محونا من الأذهان كل ما تفوه به

البشر القدماء عن الأم وحنائها .. عن قهوتها وطيبة قلبها .. أشياء كثيرة لم نعد نذكرها الآن .. بالأصح لم نعد نحتاجها .. ففي مجتمع تتكون ذاكرته من الرقائق المعدنية يغدو التعلق بالرومانسية عملاً مشيناً لا يليق بأحد ..

كنت أحدثكم عن عصر (اللا نساء) .. إنجازنا الكبير .. في الواقع اضطررنا الى ذلك .. كان العشق يقتل كل يوم العشرات من خيرة شبابنا ..

يجبون بشغف .. يذوبون رقّة ويفنون ذواتهم في طلب الوصال .. ويتركون أعمالهم للإهمال والتسيب .. ويوماً بعد يوم كانت معالم حضارتنا المعدنية تعاني شحوباً ينذر بالخطر .. حاولنا إيجاد علاج ملائم عن طريق التأهيل النفسى لكن جمال نساتنا المذهل كان عصياً على الترويض .. كن بديعات التكوين كآلهة الإغريق .. ناعمات الملمس كالحرير .. رائعات الحضور كأجمل الأحلام .. لذلك كان لا بد من علاج .. اتخذنا القرار الأقرب للمنطق .. لا نساء .. علماؤنا أجابوا على سؤال البقاء .. كان الاستنساخ هو الحل .. صرنا نستنسخ رجالنا الأشداء ونمنحهم قلوباً معدنية متطورة .. مضخات حقيقية من معادن لا تصدأ .. وعلى مراحل دُرست بعمق بدأنا المسيرة الكبرى .. أحرقنا نساتنا الرائعات .. صرنا مجتمعاً من أولاد الحضارة الحقيقية .. حضارة المعدن .. صارت حياتنا أكثر انتظاماً .. لا أمهات يحترفن الطيبة ولا عشيقات يخضبن حياتنا بالحناء ولا نساء يرصفن الأزقة بالطور ..

ها أنا أكتب عن تلك المرحلة القديمة .. زمن النساء الجميلات .. أنا (الروبوت) المجتهد .. احمل قلباً من الصفيح المصقول .. واتلقى بانتظام الإشارات المخية التي تحمل التعليمات إلى كافة أعضائي المثابرة .. استنشق غبار الإسمنت العالى الجودة .. واتنفس هواء المصانع المنعش .. امتطى الآلات الخرساء بساطاً اسطورياً من ريح مجنونة .. وفى داخلي تولد كل يوم صورة بعيدة .. باهتة التفاصيل .. بعيدة الملامح .. لامرأة بديعة التكوين كآلهة الإغريق .. ناعمة الملمس كالحرير .. رائعة الحضور كأجمل الأحلام !!

السحابة العاشرة

(1)

هناك .. فى أقصى الأفق .. حيث يوجد البعيد وتعصب السماء رأسها بتسع سحبات ناصعة كالثلج بينما تراقب العاشرة ما يجرى .
الواقع ان لا شئ يجرى .. هذه ليست مفاجأة .. فذلك الأفق الممتد بلا نهاية لا يضم شيئاً .. لا ينوى الخير ولا الشر .. انه مجرد أفق يعصب رأسه بتسع سحبات بينما تراقب العاشرة ما يجرى .

(2)

هناك .. مرة أخرى هناك .. اشتقت إلى وجه حبيبتى وفنجان قهوة .. ربما كانت خطيئتي إني بدأت بالقهوة .. على قعر الفنجان تشكل وجهه الفقيه .. (حبيبتيك ؟ .. كيف ؟) سألني والشك يسيل من جوانب فمه كاللعاب .. (هل فى الموضوع حلال أو حرام ؟) .. عاد للشك .. (فى الموضوع عاطفة .. حنين إلى البعيد عن تناول اليد القريب من تناول القلب) .. خرج الوجه من الفنجان بعض الشيء .. صار أكثر وضوحاً (رجسٌ من عمل الشيطان) .. صاح فى وجهي .. غافلتة وشربته مع القهوة .. صار الفنجان جزيرة من سائل حاد المראה .

وصرتُ سُنْدبَاداً ضائعاً بلا حتى حطام سفينة ومن بعيد ظل وجه
حبيبتي يسكن قعر الفناجين خائفاً من وجوه غائمة الملامح تتشكل على
سطح قهوة سوداء .

(3)

قررت ان اصبح بطلاً ..
أخبروني إن عبور الصحراء بطولة .. وان عبور البحر بطولة .. وان
رفع الأثقال بطولة .. وان الصمت هو اكبر البطولات .
قررت أن اصمت (بطولة كبرى بثمن قليل) قلتُ لنفسي .. (في
الصحراء سيقتلني العطش وفي البحر سأموتُ غرقاً .. وسأعجز بالتأكيد
عن رفع الأثقال) .. قلتُ لنفسي .. وهكذا كان .
اشتريت متراً جدرانها كاتمة للصوت وحديقته لا تغني فيها الطيور ..
تزوجت قطعةً من هدوء مميت وانجبتُ أطفالاً بلا ألسنة .. اخترتُ حياةً
مليئة بالصور .. بالمشاهد .. لكنها بلا صوت .
كنتُ احب الطرب .. لكنني صرت استمع الى مطربين يحركون
شفاههم ويلوحون بأيديهم دون ان يتفوهوا بكلمة واحدة .
هكذا صرتُ بطلاً .. لكنني مُت .. توفاني الله .. فقد قتلني الحنين الى
الكلام .

(4)

(الجامد) عفريتُ طيب .. لم يؤذ بشراً طيلة حياته المديدة .. لم
يسكن قارورة من زجاج أزرق ولم يدركه النوم داخل ابريقٍ لزيت الطعام ..
ولم يتشكل يوماً في صورة وحش كاسر او ارنب وديع .. (الجامد)

عفريت حسن السمعة يسكن بيته الخاص به .. المخصص للعفاريت أمثاله..
لكن الرجل (أقصد العفريت) وقع في الحب .

عَشِقَ (فاتنة) .. الواقع انه صبر طويلاً قبل ان ينهار على هذه
الصورة .. (فاتنة بشرية رائعة الجمال وانا مجرد عفريت بشع وان كنت
حسن السمعة بعض الشيء) قال لنفسه ثم اتخذ القرار الصعب .. أرسل
أقاربه الى أهل محبوبته كما يفعل الرجال الطيبون .. لم يسكن جسدها أو
يتسبب لها بالكوارث (ابني عفريت مثير .. يمتلك مستقبلاً زاهراً وعشر
سحابات بيضاء وقطيع من الغيوم المتخمة بالمطر .. يستطيع ان يوفر لها
سكناً لائقاً .. صحيح انه لا يحب أباريق الشاي لكنه مستعد للتضحية من
اجلها) تكلم والده الشيخ بلهجة رزينة أثارت إعجاب الحضور .

وافقت البنت .. وافق أهلها وبارك أقاربها الزواج المثير للجدل .

تزوجت (فاتنة) عفريتها الطيب .. مر زمن طويل على هذا
الحدث .. صارت فاتنة اليوم زوجةً راشدة تسكن غيمةً مندرجةً بالمطر وترعى
قطيعاً مباركاً من السحب البيضاء .. فيما يدمن زوجها الطيب النوم تحت
اجنحة الطيور العابرة مزهواً بزواجه الحسناء وسمعتة الطيبة .

حبة أسبرين !!

((.. نُكَب البرامكة (يقول التاريخ) .. نكبهم الرشيد فشنت
شملهم .. صاروا أثراً بعد عين)) .. تحولت الذكرى برأسي .. تخيلت
مشاهد الذبح الحلال والسياف المجتهد يفصل الرؤوس عن اجسادها ..
وتختلط الأجساد بروؤس غيرها .. هذا الرأس ليس لهذا الجسد .. أين اذاً
جسده .. وذلك الدم يجري بينهما .. جسد ميت ورأس مقطوع ..
— ونُكبت أنا .. (كان يحدث نفسه كالممسوس) ..
نُكبت أنا .. ليس الرشيد هذه المرة من نكبتني .. لكنها هي .. (خاطبني
للمرة الأولى) هي يا مستور .
عاد لهذيانه وعدت أنا لبعض شأني .. كنتُ أضمد جرحاً لا دماء له ..
اغلق بحبة الأسبرين ثغرةً في رأسي .. لكن الصداع يرفض هذه الحيلة
المستهلكة وينصب الألم عرسه الصახب .. هناك .. وسط جمجمتي تماماً ..
تحرث سنابك خيله الظافرة ساحة جبهي ويظل يوجعني بإيقاعات طوبله
المدوية ..
((.. ونُكَب المسلمون ذلك اليوم .. كانت هند تأكل كبد حمزة ..
تضع اللحم ولذة الشبع تداعب مذاقها .. كانت كبد حمزة شهية الطعم
ذلك اليوم وكانت المرارة في أفواهنا إلي اليوم)) .

(عاد للهذيان) وتُكبت أنا يا مستور .. لم تأكل كبدي
هند .. لكنني صرت الآن عدماً .. أكلت تماماً .. ولا أهتم هنداً بشئ .. هي
التي فعلت .

لم أعد أطيق مجرد الإنصات إليه ..
كان الصداع يحفر بالألم تجاعيداً لا أراها لكنني أحس بها .. يزداد
النفض .. يتدفق الدم في الأوردة الضيقة فتضيق به .. انتفض مع سياط
الأم .. أتوجع .. أكتم آهةً واعجز بعد ذلك عن الكتمان .. ويظل الوجع
يسكن رأسي بلا أمل في الرحيل .
((.. كانت سيوف الرشيد تقطع أوصالهم .. أولئك البرامكة .. وفي
توقيت واحد أرسلت فرق الموت إلى البيوت تحصد كل من ينتسب
إليهم .. كانت دمائهم تلطخ أبواب بيوتهم ..))

— اسمعني جيداً .. سأعترف لك يا مستور .. انتظرتكما
لشهرين .. قمران كاملان .. مشرقان كآلف شمس .. عبرا سمائي ..
أحدهما همس لي بمودة بيضاء كوجهه : إنها مقبلة إليك .. الآن .. (عاد
للكلام معي) .. واقبلت يا مستور .. رأيته .. كان النسيم يلهو بظفائرها
كعادته .. سعتُ إليها .. من عادة النهار أن يسعى إلى شمس .. بدونها لا
يصير نهاراً لذلك يسعى إليها .. أنا أيضاً فعلت .. لكنها اختفت ..
واختفيت أنا .. أصبحنا ظلالاً لا شكل لها .. تبتعد كلما أرادت
الاقتراب .. كنت على ضفة الغدير يا مستور والعطش يقتلني لكنني عدت
منهكاً يقتلني العطش .

كان بودي أن أواسيه ببعض الكلام الطيب .. أن امسح القليل من
أحزانه بالقليل من الود لكنى عجزت .. استعصى على فمي الحديث .. فقد
كان الصداع يتوغل بحوافله داخل العين اليمنى ومنها يرسل جنوده
الأشداء إلى اليسرى فاعجز عن مجرد التركيز .. كانت الأشياء تبدو لي
رمادية ومائعة كالسراب .. وكنت اسند رأسي بيدي .. اضغط بوهن
واتقلب في كل اتجاه .. لا بد أن يسكن الألم عند هذا الوضع أو ذاك
الآخر.. المهم أن يمد لي يده بهدنة مؤقتة .. أرسلت له الرسل .. طلبت
الصلح .. توسلت .. لا املك غير هذا الرأس فلا تعبت معي أيها الألم ..
لي هذه الجبهة فابعد سنابك خيلك عنها .. دعني استمع إلى الرجل يشكو
ما ألم به .. دعني أحيا هذا العمر القصير .. ودعني الآن .. كن على الأقل
اقل حدة .. أيها الصداع .. أتحدث معك فاسمعي .
(..) ويقولون إن الرشيد لما رأى تزايد سطوة الفرس على العرب قرر
أن ينكب البرامكة فغضب على وزيره جعفر البرمكى .. ومن أحد
جسور بغداد استوحى الفكرة .. فشق جسد الرجل وعلقه نصفاً على
كل جانب .))

شيء كالصداع النصفى .. نصف هنا وآخر هناك .. وجد الرشيد
علاجاً للصداع وعجزت أنا فيما كان صديقي المنكوب كالبرامكة يواصل
سرد حكايته من وراء طوفان الألم الذي يضرب رأسي بحقد لا افهمه :
— نكبتني يا مستور .. أشرقت على كالشمس لكنها
غربت قبل أن املاً عيني من نورها .. اختفت يا مستور وعاد لى البرد

وذلك الانتظار القلبي .. مستور .. (خاطبني باهتمام هذه المرة) عاد لك
الصداع ؟ .. ما رأيك بحبة اسبرين !؟

جس يوسف اللواتي

كتاب الندم

(كان يودى أن الحثب لك لكن الندم أكل أصابعي)

(1)

(يعضون بنان الندم) ..

يخطئون هم فما بال الندم يقضمون أصابعه ؟

(2)

كان الندم يأكل قطعة من كبدى .. وكانت أصابعى تتأكل بفعل
الحسرة .

حدث هذا منذ زمن .. قبل أن أموت ندماً .

(3)

اقترف الرجل تلك الخطيئة .. أكل تفاحة واحدة فخرج من جنة الخلد
أبد الدهر

من منهما أحق بالندم .. هو أم ذلك الدهر ؟

(4)

أيها الندم .. مهلاً .. ابوابنا ليست من حديد وقبضتك ليست من
حرير .. تمهل قبل أن تندم حيث لا ينفع الندم .

(5)

(قبل أن تندم حيث لا ينفعلك الندم) ..

(حيث) هذه تفيد موضعاً .. مكاناً .. ولكن .. هل توجد في الدنيا كلها أرضٌ ينفع فيها الندم ؟ .. أين هي لأندم هناك بلا حدود .

(6)

(ندمت ندامة الكسعى لما)

كسر الكسعى قوسه فندم .. طلق الفرزدق امرأته فندم .. فلنحترس إذاً .. الندم يسكن استدارة قوس مجرب ومجاهل امرأة رائعة .

(7)

كم ندمتُ ذلك اليوم ..

تركتك لبعض الوقت فافتقدتك شهراً كاملاً .. افتقدتك شهراً لكنني
ندمت دهرأ

اتذكرين ؟ .. ذلك اليوم .

(8)

لست قوساً كسرتها .. ولست امرأة طلقته ..
لست مالا ضاع مني .. ولست فرصة ضيعتها ..
لكنه الندم يقبل من جديد .

(9)

كان بودى أن أكتب لك .. لكن الندم أكل أصابعي .

(10)

أدركه المشيب ..
ذلك الشيخ الهرم .. كان يتكئ على جدار داره وينظر الى حيث ذلك
الندم .. يحتسيان الشاي ويتسامران .. كان يحاوره كأبي صديقٍ قديم ..
يعاتبه حيناً .. وأحياناً كان يشكره :
— شكراً لك أيها الندم .. لولاك لأصبحت وحيداً بعد أن
هجرني الجميع .

(11)

— اختارنى زوجة .. جربنى .. ولن تندم .

كان يبتسم .. يتذكر حديثها وهو يضع وردة على قبر ذلك الندم
الذي مات ندماً .

(12)

حبلى به الدنيا ..

كانت بهيجة مبهجة قبل أن تفعل ذلك .. وعندما آن الأوان لم تكن
تصرخ ألماً كأية امرأة .. كانت تقضم أصابعها واحساس الحسرة يطعنها
حتى اطل براسه ذلك الوليد .. ذلك الندم .

(13)

أكثر من هذا الغياب لا احتمل .. سيقتلنى ذلك الندم .. الندم الذى
لا يموت .

(14)

اكل الندم كبدى وجزءاً من رثى اليسرى .. أكلنى الندم .

(15)

لا تندم .. قال لى الحكيم ..

لن أندم .. وعدته وانصرفت ..

كم ندمت على ذلك الوعد .. كم قتلنى الندم . النسيان والتذكر

النسبَان والتذكر

(أَيْهَا النّسبَان ..

هَذَا فَدِ سَلْبَتْنِي ذَاكَرْتِي فَلَا تَنْكُنِي وَحِيداً

.. ابقِ مَعِيَ عَلَى الْأَفَلِ .)

(1)

كثيراً ما أنسى ونادراً ما أغفل عنك .

(2)

شر البلية ما يُضحك .. هناك ما هو افدح .. ما لا يمكن نسيانه !

(3)

يبتعد عن العين فينشغل به القلب .. يحضر فينشغل بغيره .. هناك خطأ
ما .. أليس كذلك ؟

(4)

أيها النسيان .. ها قد سلبتني ذاكرتي فلا تتركني وحيداً .. ابق معي
على الأقل !

(5)

كنت املك ذاكرة قوية إلي ان صاح النسيان ذات يوم : آه انه فلان..
لقد تذكرته !!

(6)

من قال إن النسيان يعنى الموت .. من يكتب هذا الكلام إذن ؟

(7)

يومها حذرتني أمي : لا تنسى أمك .. يومها لم تكن تدري إنها
ذاكرتي !

(8)

يبدو انك فلان .. صديقي القديم .. أعذريني .. لولا النسيان
لتذكرتك.

(9)

(انسييت اوعودك .. وانسييت هذب ناعس في بياض اخدودك) ..
من أين له كل هذه التفاصيل ما لم يكن يتذكرها كل مطلع شمس ؟

(10)

أدركني النسيان .. تسألون متى ؟
اعتقد إني نسيت .

(11)

حتماً سيقبل اليوم الذي سأنساك فيه .. ولكن .. لي عندك رجاء ..
عندما يقبل ذلك اليوم ذكريني به .. حتى أنساك .

(12)

كانت لي حبيبة .. تذكرت الآن إني نسيتها .

(13)

تذكر الشمس انه الصباح .. فتشرق .

(14)

يتذكر القمر جمال وجهه فينسى ان يطرد عنه الغيوم .

(15)

أتذكرك فأنسى .. أنساك فأتذكر .

(16)

ذات مرة نسيتك .. أتذكرين ؟!

(17)

اللون الأصفر يمتلك ذاكرةً قوية .. انه لا ينسى في العادة .
لذلك أكتب لك على ورقٍ أصفر .. ربما نسيتك يوماً فيتذكرك
الورق .

(18)

أيها النسيان .. خذ ذاكرتي واترك لي حبيبتي .. لن أنسى لك هذا
الجميل .

(19)

(أذكر أنك كنت جميلة كالجمال نفسه .) .. قال لها
(وأنت .. كنت تملك عيني رائعتين .. فيما أذكر) قالت له
(هل تذكرهما أيها النسيان ؟)
قالت الذاكرة .

الفهرس

9	أيها الـ
19	في حضرة الصمت
27	أيها الموت
35	سفر الإنتظار
51	أساطير الزمن الردئ
115	كتاب الندم
123	النسيان والتذكر



رمته بالسؤال :

- (والفت) هذه .. هل هي الحب ؟

تمردت خصلة الشعر من جديد .. عاد لها بعض النزق .. مدت يدها للريح ..
لنسمة هواء عابرة .. تناولت حتى تمكنت أخيرا من مصافحة الوجه الملائكي ..
عندها عاد اليها الهدوء .. استكانت .. اعتذرت عن سوء السلوك وعادت الى
سيرتها الأولى .

كان يلوذ بالصمت ويراقب ما حدث .. لكن السؤال ظل بحاجة الى جواب سريع ..
كانت تنتظر بصبر نافذ :

- والفت .. من الألفة .. نحن نألف الشيء .. نستكين اليه .. نستظل به ..
نغفو في حضنه .. الألفة ليست هي العادة .. اعتيادنا للأشياء لا يعنى تألفنا معها ..
قد نعتاد على الفقر .. على البؤس .. على الموت .. على الفشل .. على الفراق ..
على الخيبة .. لكننا ابدا لا نألف كل هذه الكوارث .. لا نشعر بالتواصل معها ..
لكن الألفة شيء آخر .. الألفة تضمننا اليها .. تنادينا .. تهمس لنا .. تمسح بيدها
المضيئة رؤوسنا .. تغسل مواجعنا .. تمسّد باناملها الودودة أحزاننا .. هذا ما
تفعله بنا الألفة .

الاعتياذ لا يقدم لنا شيئا من ذلك .. أنه يملكنا فقط .. العادة شهوة تملك .. غريزة
استبداد .. اما الألفة فهي دليل انتماء .. الألفة تنتمي اليها .. لكن العادة تتملكنا .
- هل فهمت الآن ؟

الصديق بودواره



مجلس تنمية الابداع الثقافي

المقر الرئيسي / بنغازي هاتف: 061-9082003-9082002

بريد مصور: 061-9082004 ص . ب 9351

بريد الكتروني: Lcc@mail.Lttnet.net